بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا اسْتَنَارَ الْعَقْلُ بِالْعِلْمِ أَنَارَ الدُّنْيَا ١٩ شَوَّالٍ ١٤٤٦ هـ

عِبَادَ اللهِ: أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :الْعِلْمُ وَسِيلَةُ الْإِصْلَاحِ، وَطَرِيقُ النَّجَاةِ، وَسَبَبُ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ، وَأَشْرَفُ مَا يُتَحَلَّىٰ بِهِ فِي الْوُجُودِ، وَأَحْسَنُ مَا يَتَفَضَّلُ اللهُ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَيَجُودُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وَالْعِلْمُ هُوَ الْعَامِلُ الْأَسَاسِيُّ الَّذِي يُسَاهِمُ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَاتِّسَاعِ عُمْرَانِهَا، وَامْتِدَادِ سُلْطَانِهَا، وَعُلُوِّ رَايَاتِهَا، وَانْتِشَارِ دِينِهَا، وَالْعِلْمُ مِيزَانُ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ، وَمِعْيَارُ الْفَضْلِ، وَسُلَّمُ الِارْتِفَاعِ إِلَىٰ الْقِمَمِ، وَبَاعِثُ الْأَمَلِ، وَمُنْهِضُ الْأُمَمِ، رَفَعَ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا فَتَقَدَّمُوا، وَحَرَمَهُ أَقْوَامًا فَتَأَخَّرُوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، أَكْرَمَ اللهُ أَهْلَهُ بِخَاصِيَّةِ أَنْ قَرَنَ ذِكْرَهُمْ بِذِكْرِهِ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فَهُمْ أَهْلُ الْخَشْيَةِ وَالِاصْطِفَاءِ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وَهُمْ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ وَالْفَضْلِ الْمُبِينِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، بِهِمْ يَسْتَرْشِدُ الْمُسْتَرْشِدُونَ، وَبِنُورِ عِلْمِهِمْ يَسْتَضِيءُ الْمُهْتَدُونَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾، نَشَرَ اللهُ فِي الْخَافِقَيْنِ أَعْلَامَهُمْ، وَأَجْرَىٰ بِالْأَحْكَامِ أَقْلَامَهُمْ، فَهُمُ الْمُوَقِّعُونَ عَنِ اللهِ، وَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ

بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». إِنَّهُ لَفَضْلٌ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ.

عِبَادَ اللهِ :تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوهُ؛ فَبِهِ النَّجَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ».

تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوهُ، فَهُوَ سَبِيلُ الْجَنَّةِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوهُ؛ فَإِنَّهُ مَنَارُ سَبِيلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْأَنِيسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالسِّلَاحُ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، وَالْمَنْزِلَةُ الْعَلْيَاءُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوهُ؛ فَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَمَصَابِيحُ الْأَبْصَارِ، وَبِهِ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَعْلَىٰ الدَّرَجَاتِ، وَمَنَازِلَ الْأَخْيَارِ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً، تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَىٰ بِفِعَالِهِمْ، قَالَ ﷻ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوهُ؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ خَشْيَةٌ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، **وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾،

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ هُوَ أَحَدُ ثَلَاثِ خِصَالٍ، يَسْتَمِرُّ ثَوَابُهَا مَوْصُولًا لِصَاحِبِهِ، فَلَا يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَشَرَفِ مَنَازِلِهِمْ، وَكَرِيمِ مَآلِهِمْ، مِمَّا كَانَ لَهُ أَعْظَمُ الْآثَارِ وَأَعْمَقُهَا فِي نُفُوسِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رُضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: لَأَنْ أَجْلِسَ سَاعَةً فَأَتَفَقَّهَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْيِيَ لَيْلَةً إِلَىٰ الصَّبَاحِ. وَقَالَ مُصْعَبُ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَحِمَهُ اللهُ: تَعَلَّمِ الْعِلْمَ، فَإِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا. وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا رَأَىٰ طُلَّابَ الْعِلْمِ قَالَ: مَرْحَبًا بِكُمْ يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ، وَمَصَابِيحَ الظُّلْمَةِ، خُلْقَانَ الثِّيَابِ، جُدُدَ الْقُلُوبِ، رَيَاحِينَ كُلِّ قَبِيلَةٍ.

عِبَادَ اللهِ: أَفَلَا يَجْدُرُ إِذًا بِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ، وَبِكُلِّ آخِذٍ مِنْهُ بِطَرَفٍ، وَبِكُلِّ ضَارِبٍ فِيهِ بِسَهْمٍ، أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ عَزْمٌ مَاضٍ لَا يَنْثَنِي، وَأَنْ تَكُونَ لَهُ فِي طَلَبِهِ وَفِي الِاشْتِغَالِ بِهِ نِيَّةٌ خَالِصَةٌ، وَمَقْصُودٌ حَسَنٌ، بِأَنْ يَبْتَغِيَ بِهِ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ، لَا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ الصَّارِخُ لِمَنْ قَصَدَ إِلَىٰ ذَلِكَ، أَوِ اتَّصَفَ بِهِ، أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ

فَالنَّارُ النَّارُ»، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ». فَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرًا وَأَحَبَّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، فَإِنَّ مِنَ الْقُوَّةِ الْمَحْبُوبَةِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ قُوَّةَ الْمُسْلِمِ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، تِلْكَ الْمُتَمَثِّلَةُ فِي كَمَالِ الْمَحَبَّةِ لِهَذَا الْعِلْمِ، وَدَوَامِ الْمُدَارَسَةِ لَهُ، وَالِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْبَحْثِ فِي دَقَائِقِهِ، وَالْكَشْفِ عَنْ غَوَامِضِهِ، وَالِاسْتِعَانَةِ عَلَىٰ التَّمَكُّنِ مِنْ أَزِمَّتِهِ بِالْعَمَلِ بِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ قُوَّةَ الْمُسْلِمِ هِيَ قُوَّةٌ لِأُمَّتِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يُحْرِزُهُ مِنْ تَفَوُّقٍ، أَوْ يُصِيبُهُ مِنْ نَجَاحٍ، أَوْ يَبْلُغُهُ مِنْ تَوْفِيقٍ، عَائِدٌ أَثَرُهُ عَلَيْهَا لَا مَحَالَةَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ يَمُوتُونَ، وَالِاهْتِمَامُ بِهَذَا الْعِلْمِ يَتَضَاءَلُ وَيَتَقَلَّصُ، وَالْعَالَمُ يَضْطَرِبُ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَرَىٰ مَنْ يَقْتَحِمُ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ بِالْجَهْلِ وَالْهَوَىٰ، وَمَنْ يَتَطَرَّفُ فِي أَحْكَامِهِ بِالْغُلُوِّ وَالتَّعَصُّبِ، كُلُّ ذَلِكَ نَتَائِجُ انْحِسَارِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الْمُؤَصَّلِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ وَإِلَىٰ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ كَحَاجَةِ الظَّمْآنِ إِلَىٰ الْمَاءِ، وَالْغَرِيقِ إِلَىٰ الْهَوَاءِ، خَاصَّةً فِي زَمَانِ اضْطِرَابِ الْأَهْوَاءِ، فَتَرَىٰ بَوَادِرَ الْغُرْبَةِ بِذُبُولِ مَعَاقِلِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي زَمَانِ انْتِشَارِ الْمَعْلُومَاتِ، وَكَثْرَةِ مَصَادِرِ التَّلَقِّي، وَإِعْجَابِ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، تَبْرُزُ الْحَاجَةُ الْمُلِحَّةُ إِلَىٰ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الْمُؤَصَّلِ، أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»، عَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّىٰ شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ. فَكَيْفَ لَوْ رَأَىٰ تَصَدُّرَ الْخُنْفُشَارِيِّينَ، مِمَّنْ يَجُولُ وَيَصُولُ بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ فِي كُلِّ فَنٍّ، وَعَلَىٰ كُلِّ مِنْبَرٍ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ طَلَبٌ لِلْعِلْمِ، وَلَا تَتَلْمُذٌ يَوْمًا.